

قَبَسٌ مِنْ نور



كرامة الإنسان في الإسلام هبة إلهية أم ثمرة اختبار؟

■ أحمد باقر الطويل

■ مقدمة:

في زمن تختلط فيه مفاهيم الكرامة بالقوة أو الانتماء أو المنفعة، يعيدنا الإسلام إلى السؤال الجوهرى: ما قيمة الإنسان قبل أن يختار؟

القرآن لا يبدأ حديثه عن الإنسان من إيمانه أو كفره، بل من إنسانيته. قبل أن يُحاسب، هو مكرمٌ، وقبل أن يُطالب، هو محل عناية إلهية. ومن هنا تنشأ رؤية متوازنة ترى الكرامة هبةً من الله، ومسؤوليةً على الإنسان في آن واحد.

■ كرامة سابقة على الاختيار

حين يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:٧٠]، فهو يعلن تكريمًا عامًا يشمل الإنسان بما هو إنسان. هذا ما أكدته العلامة الطباطبائي في الميزان، مبينًا أن الآية تتحدث عن كرامة النوع الإنساني لا عن استحقاق إيماني خاص.

فإنسان مكرم بعقله، وإرادته، وقدرته على الفهم والاختيار، وبقابليته لأن يكون مخاطبًا من الله. هذه كرامة ذاتية، ملازمة لوجوده، لا تزول باختلاف المعتقد أو السلوك.

■ الإنسان بين الأخوة والإنسانية

في عهده مالاك الاشر، يضع الإمام عليؑ قاعدة أخلاقية جامعة: "الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق".

بهذا يرسخ الإسلام أن الاختلاف العقدي لا يلغي الأصل الإنساني، وأن الكرامة لا تُسحب بسبب المخالفة، بل يُحاسب الإنسان على اختياره دون أن تُمحي إنسانيته.

■ الكرامة بين المنح والانتساب

الكرامة في الإسلام ليست مستوى واحدًا. فهناك كرامة ممنوحة بالخلق، وأخرى تُكتسب بالفعل. من حيث الوجود، الإنسان مكرمٌ لأنه مخلوق لله، وكل ما فيه من شرف وكمال هو إفاضة إلهية، كما يبين الفخر الرازي. ومن حيث الفعل، تتحدد مكانة الإنسان بحسب استجابته للفطرة. فالإيمان انسجام مع الكرامة الذاتية، والكفر ليس نفيًا لها، بل تعطيلًا لآثارها. هنا تتجلى عدالة التكليف: لا يُحاسب الإنسان على ما وهب، بل على ما اختار.

■ الفطرة ومسار الصعود والسقوط

خلق الله الإنسان مفطورًا على الحق: {فَظَرَّتْ لَّهِ الَّتِي قَطَرَتْ النَّاسَ عَلَيْهَا} (الروم:٣٠). والحرية شرط الكرامة، لأن الكرامة بلا اختيار لا معنى لها. ولهذا وصف القرآن الإنسان بأوصاف متقابلة، تعبيرًا عن مسارين مفتوحين داخله. ويختصر الإمام الباقرؑ هذا المعنى بقوله: "كُلُّ شيء يجزئه الإقرار والتسليم فهو الإيمان، وكلُّ شيء يجزئه الإنكار والجحود فهو الكفر". فالصعود والسقوط ليسا قدرين مفروضين، بل نتائج لاختيارات واعية.

■ الخلاصة:

كرامة الإنسان في الإسلام حقيقة وجودية تبدأ من الخلق، وتُستكمل بالاختيار. الإنسان مكرمٌ قبل أن يؤمن، ومسؤولٌ بعد أن يختار. الإيمان يحزّر الكرامة، والكفر يحجب آثارها، دون أن يمحوا أصلها. وبين الهبة الإلهية والاختيار الحر، تتشكل قيمة الإنسان ومساره. اللهم كما كرمتنا بالخلق، وفقنا لاختيار ما يليق بهذه الكرامة، ولا تجعلنا ممن غفلوا فطرتهم، واهدنا إلى ما يرفعنا إليك.

ما هي الأسس الفلسفية للإلحاد؟



إلى الحدّ الذي لم يُغد غريباً يجمعُ بين مفهومَي "العلم" و"الله" ليس فقط في عناوين المكتوبات (مثل الكتاب الذائع الصَّيت: «الله والعلم» لـ"جون غيتون" والأخوين "غريتشكا")، بل أيضاً في أثناء أعمالٍ تتناولُ فلسفة العلوم المُعاصرة كما نجده، مثلاً، في الفصل الثامن (الله) يَرجعُ بقوةٍ من كتاب «هل لوجودنا معنى؟» لصاحبه "جون ستون" وفي كتابه نصيحةٌ لعالمٍ مبتدئ يُحدِّدُ السير بيتر مداور - الحائزُ على جائزة نوبل - قاعدةً ذهبيّةً لهذا العالم، فيقول: "لا شيء يُفقدُ الثقةَ في العالم قدرَ تصريحه بأنّ العلمَ يعلمُ أو سيعلمُ قريباً الإجابةَ عن كلّ الأسئلةِ التي تستحقُّ أن تُسألَ، وإنّ الأسئلةَ التي لا توجدُ لها إجابةٌ علميّةٌ لا تستحقُّ أن تُسألَ وتعتبرُ العلمَ كذباً، ولا يسألُها إلّا الحمقى، ولا يحاولُ الإجابةَ عنها إلّا السذج، ويضيفُ: لا شكَّ أنّ للعلمِ حدوداً لا يستطيعُ تجاوزُها، فالعلمُ لا يستطيعُ الإجابةَ عن الأسئلةِ

يتعارضُ معَ العلم، ففسادُ دينٍ من الأديان لا يعني فسادَ الدين والتدين. فالمُقاربةُ المُفهمّةُ للعلاقةِ بينَ الرّوح والبدن في الإنسان، هي ذاتها المُقاربةُ التي تتفهمُ العلاقةَ بينَ الدين والعلم، فما يُحقِّقه العلمُ للإنسان لا يمكنُ أن تُحقِّقه الأديانُ، والعكسُ صحيحٌ، وكلاهما في خاتمةِ المطافٍ يخدمان شيئاً واحداً وهو الإنسان المُركَّبُ من روحٍ ومادّة، فمُحاكمةُ الأديانِ بالآياتِ العلم، أو مُحَاكمةُ العلمِ بأدواتِ الأديان، هو الذي يتسبَّبُ في علاقةٍ مشوّهةٍ بينَ الدين والعلم، فالشهودُ وعالمُ الطبيعةِ هو الذي يقوِّدُ الإنسانَ للإيمانِ بالغيّب، والذي يربطُ الإنسانَ بالشهودِ عندما يأمُرنا بالعلم والتعقّل، يقولُ عبدُ الجليل الكور: "فما أشدُّ وهَمَ الذينَ ظنّوا أنّ تجاوزَ "المتافيزيقا" قد أنجزَ في اتجاهِ التخلُّصِ فلسفياً وعلمياً من فكرةِ الله. إذ أنّ العلومَ المُعاصرةَ لم تُقدِّ قدرةً على تفادي فرضيّةِ الله التي يزدادُ إلحاحُها على كلّ المستوياتِ

■ الأساسُ الفلسفيُّ الذي يقومُ عليه الإلحادُ هو عدمُ الاعترافِ بأيّ حقيقةٍ خارجةٍ عن إطارِ الحسِّ والمادّة، ومن هُنا يمكننا القولُ إنّ الفلسفةَ الماديّةَ هيَ فلسفةٌ إلحاديّةٌ بالضرورة، والبحثُ في هذا الأمرِ لا يرتبطُ بالبحثِ الفلسفيِّ وإنما يرتبطُ بنظريّةِ المعرفة؛ وذلك لأنّ البحثَ الفلسفيَّ يأتي مُتأخراً عن البحثِ حولَ إمكانيّةِ المعرفةِ وطبيعتها ومصادرها وطرقِ تحصيلها، والإلحادُ في العادةِ يُمارَسُ خِداً عندما يوحي بأنّ الأمرَ باتَ محسوماً لصالحِ المعرفةِ الحسيّةِ، مع أنّ الواقعَ غيرُ ذلك حيثُ باتَ من المُسلّماتِ إمكانيّةُ المعرفةِ خارجَ إطارِ الحسِّ والمادّة.

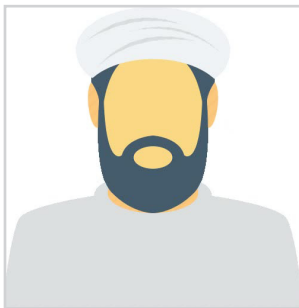
■ الإشكاليّةُ المُهمّةُ التي يمكنُ أن تواجهَ الفلسفةَ الوضعيّةَ: هي كيفَ تُخضعُ العلومُ الإنسانيّةَ لمعاييرِ العلومِ التجريبيّةِ؟ فالمعارفُ التي تعتمدُ على المفاهيمِ الكليّةِ، والعناوينِ الانتزاعيّةِ، والتأمّلاتِ التحليليّةِ، هي من المعارفِ التي يكتسبُها العقلُ عندما يخلُقُ في آفاقِ الحياةِ الواسعةِ، بما لها من تاريخٍ عريقٍ، وحضاراتٍ متنوّعةٍ، واجتماعٍ إنسانيٍّ فاعلٍ ومُتفاعلٍ، فحصرُ العقلِ وحبسُه بينَ جُدرانِ المُختبرِ جريمةٌ في حقِّ العقلِ والعلمِ معاً، ومن الواضحِ أنّ التفكيرَ الطفوليَّ الذي كانَ يطمحُ لجعلِ العلومِ الإنسانيّةِ

■ أسئلة وردود

علماء وأعلام

المير السيّد

حسن المدرّس الأصفهاني



■ مولده ونسبه

وُلِدَ المير السيّد حسن المدرّس بن المير السيّد علي الأصفهاني، سنة ١٢١٠هـ في أصفهان.

■ دراساته ومنزلته العلميّة

تعلّم في أصفهان على يد والده وغيره مدّة، ثمّ قصد كربلاء ولازم ملاً محمّداً شريف العلماء، كما درس في النجف الأشرف عند صاحب الجواهر وحاجي كلباسي وجماعةٍ آخرين. وبعد رجوعه إلى أصفهان، واصل دراسته عند الشيخ محمّدتقي الرازي وأخيه الشيخ محمّدحسين صاحب الفصول وآخوند ملا علي النوري. وقد حصل على إجازة من المير زين العابدين الخوانساري وصاحب الجواهر. وأنشأ في حياة أستاذه حاجي كلباسي في أصفهان حلقةً للبحث والتدريس والإفادة، وحضر درسه جماعةٌ كثيرة من الفضلاء والمجتهدين، فاشتهر بلبق "المدرّس".

■ أساتذته

ومن أساتذته: الملا محمّد شريف العلماء، صاحب الجواهر، حاجي كلباسي، الشيخ محمّدتقي الرازي، الشيخ محمّدحسين صاحب الفصول، والآخوند ملا علي النوري.

■ تلامذته

ومن أبرز تلامذته: الميرزا أبوالمعالي الكلباسي، الملا محمّد الأصفهاني، الملا محمّد باقر الفشاركي، الميرزا محمّد حسن النجفي الأصفهاني، والميرزا محمّد حسن الشيرازي المشهور وغيرهم.

■ مؤلّفاتُه

له العديد من المؤلّفات منها: أجوبة المسائل، جوامع الكلم، حاشية على الشفا، رسالة في أصالة البراءة، رسالة في العدالة، رسالة في قاعدة لا ضرر، رسالة في أصالة الصحة، رسالة في العبادة بالفارسية، رسالة في القضاء والشهادات، شرح مختصر النافع، مناسك الحج، هداية الطالبين وهي رسالته العمليّة.

■ وفاته

توفي المير السيّد حسن المدرّس الأصفهاني في ٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٣هـ، ودُفن في مقبرته الخاصة بجوار مسجد رحيم خان.

■ مصطلح الأسبوع

الأحوط استحباباً

"دلالتة الفقهية وأثره على سلوك المكلف"

■ الشيخ حسين التميمي / العتبة العباسية المقدسة



استحباباً» دعامةً فقهيةً لتعزيز الوعي الديني، وتحقيق التوازن بين الالتزام الشرعي والقدرة الواقعية للمكلف، بما يُرسخ الفهم المعاصر لدور الفقه في توجيه سلوك الفرد ضمن ضوابط مرنة ومنهجية علمية.

بينما إذا تركه فلا يُعدّ مخطئاً شرعاً، إذ يكون في هذه الحالة مخيراً بين الالتزام به أو عدمه، بحسب قدرته وظروفه. وغالباً ما يُستعمل هذا المصطلح في مسائل الطهارة والصلاة والمعاملات المالية، حيث تتعدّد الروايات أو يوجد احتمال عدم الاستيفاء التام للشرط، فيغدو الاحتياط الاستحبابي وسيلةً لتجنّب الريبة أو الشك.

وتكمن الأهمية العملية لهذا المصطلح في كونه يعلمُ المكلفُ التدرّج في التعامل مع الأحكام الشرعية، فالأحوط استحباباً يغرس في نفسه روح الورع والحرص على التقوى، ويُنمي لديه القدرة على التمييز بين الاحتياط الوجوبي الذي لا يجوز تركه، وبين الاحتياط الاستحبابي الذي يُستحب الأخذ به من دون إلزام. كما يعكس هذا المصطلح حرص المرجع على تيسير التكليف وعدم إثقال كاهل المكلفين، وفي الوقت نفسه يوفّر لهم منهجاً علمياً منظماً لاتخاذ القرارات الدينية في شؤون حياتهم اليومية. وبذلك يغدو قول المرجع «الأحوط

■ إنّ مصطلح الأحوط استحباباً يُعدّ من المصطلحات الفقهية الدقيقة التي تُستعمل في الحوزات العلمية لبيان موقف الفقيه من مسألةٍ معيّنة عندما لا يكون الدليل فيها قطعياً، ولكن يَرجَحُ فيها جانب الخير أو الأفضلية مقروناً بمراعاة الاحتياط. وعندما يصرّح المرجع أو المجتهد في فتواه بعبارة «الأحوط استحباباً»، فإنما يُشير إلى أن العمل بهذا الاحتياط لا يبلغ حدَّ الوجوب الشرعي، ولا يرقى إلى مستوى الإلزام الملزم، بل هو ترجيح واستحباب يُصحّ باتباعه لمن أراد التورّع وتقوى الله تعالى، وهو أقرب إلى السلامة من تركه. فالأحوط استحباباً يقوم على قاعدةٍ منهجية دقيقة، تتمثل في مراعاة ما يُظنُّ أنه أقرب إلى البراءة من الوقوع في مخالفةٍ محتملة، من دون إيقاع المكلف في الحرج، لكونه غير ملزم به إلزاماً قطعياً.

ومفاد قول المرجع أو المجتهد بهذا المصطلح أن المكلف، إن التزم بهذا الاحتياط، ينال أفضليةً دينيةً ويكون في مأمنٍ من احتمال الوقوع في مخالفة،